

الفصل السابع

نخبة من المضحين بالذات كمخلصين

اصول حركة اللطامين

يبدو أن ممارسة جلد الذات ولطمها (ص ١٢٧) لم تكن معروفة في أوروبا حتى تم تبنيها من قبل النساك في المجتمعات الرهبانية في كمالدولي وفونت أفيلانا في وقت مبكر من القرن الحادي عشر، وما أن اخترعت الصورة الجديدة من العمل التكفيرى حتى انتشرت بسرعة حتى انها لم تصبح فقط سمة طبيعية من حياة الرهبنة في كل النصرانية اللاتينية بل التقنية الأكثر شيوعا للتكفير ، الى حد أنه في الواقع إن المعنى الحرفى لاصطلاح « انضباط » كان محصورا في « يلطم » وما كان يمكن أن يعنى بالنسبة لهؤلاء الذين يمارسونه يظهر مشرقا في الوصف الذي خلفه راهب من القرن الرابع عشر حول تجربته الخاصة ، في ليلة شتاء قام هذا الرجل :

« بحبس نفسه في صومعته وتجرد من ثيابه كلها... واخذ بسوطه ذا الأشواك الحادة ، واخذ يضرب نفسه على الجسم والذراعين وعلى الساقين حتى اندفع الدم منه كما لو كان من رجل محجم ، وكانت احدى الشوكات في السوط معقوفة كالخطاف وكلما تعلقت بأي جزء من اللحم أمسكت به ومزقته ، وطارت الأطراف الى الحائط ثم وقف هناك وهو يدمى وحقق في نفسه ، لقد كان منظره بائسا حتى أنه نكره بطرق كثيرة بالمسيح المحبوب ، عندما ضرب بصورة مروعة ، ومن الاشفاق على نفسه بدأ يبكي بمرارة ، ثم ركع عاريا ومغطى بالدم في الهواء الصقيعي ، وتضرع الى الرب أن يمحو خطاياهم من أمام عينيه اللطيفتين ».

لقد كان جلد الذات تعذيبا مروعا أوقعه الناس في القرون الوسطى

على انفسهم بانفسهم بأمل استمالة الرب القاضي والمعاقب ليعبد عقابه وليغفر لهم ذنوبهم ويعفيهم من العقاب الأكبر الذي سينالهم في هذه الحياة وفي الآخرة ، وحتى خلف هذه الغفران مجرد أمل آخر أكثر نشوة ، وإذا أمكن لراهب اصولي أن يرى في جسده الدامسي ضرورة لجسد المسيح فليس من المدهش أن العلمانيين الذين غدوا من اللطامين ثم هربوا من الرقابة الكهنوتية شعروا بأنهم مكلفون بمهمة خلاصية (ص ١٢٨) لا تضمن فقط خلاصهم وحدهم بل البشرية كلها و مثلها مثل الفقراء قبلها ، رأت طوائف اللطامين المنشققة في تكفيرها تشبها جماعيا بالمسيح له قيمة أخروية فريدة .

وكان في المدن الايطالية المزحمة أن ظهرت مواكب منظمة من اللطامين للمرة الأولى ، وانطلقت الحركة في ١٢٦٠ بوساطة ناسك من بيروغيا وانتشرت في اتجاه الجنوب الى روما وفي اتجاه الشمال الى مدن لومبارديا بسرعة حتى بنت للمعاصرين كوباء مفاجيء للندم ، وزحفت حشود من الناس من الشيباب والصبية وسارت ليلا ونهارا، بالعادة بقيادة كهنة وتنقلت بأعلام وشموع مضاءة من مدينة لأخرى ، وكانوا كلما وصلوا الى مدينة نظموا انفسهم في مجموعات امام الكنيسة وجلدوا انفسهم لساعات بلا انقطاع ، وكان الزخم المؤثر الذي أحدثه هذا التكفير العلني على عموم السكان كبيرا ، فاعترف المجرمون وأعاد للصوص ما سلبوه ، وأعاد المرابون الفوائد على قروضهم ، وتم التراخي بين المتخاصمين وتم تناسي الحزازات حتى الطرفان المتحاربان اللذان كانا يقسمان ايطاليا ، الفولف أو مؤيدوا الباباوالجيبلين أو مؤيدوا الامبراطور ، فقدوا للحظة بعض عنادهما، واشتركت مدن بكاملها في الحركة ففي ريغيو شارك القاضي الرئيس والأسقف وكل النقابات ، ومع تحرك المواكب كان حجمها يتزايد باستمرار حتى أصبحت تشكل الوفا عدة ، ولكن كان إذا انضم اليها احيانا اناس من كل الطبقات كان الفقراء هم الذين يستمرون حتى انه في المراحل التالية للحركة كانوا يبقون وحدهم .

إن الظروف التي حدث فيها هذا الانفجار الأول لحشد اللطامين هامة ، وحتى بمعايير العصور الوسطى فقد كانت الظروف في إيطاليا في تلك اللحظة قاسية بصورة استثنائية ، ففي ١٢٥٨ كانت هناك مجاعة ، وفي ١٢٥٩ حدث انفجار خطير للطاعون ، وفوق كل ذلك كانت هناك الأعمال الحربية التي لم تتوقف بين الغولف والجيبلين والتي أنزلت البلاد الى حالة من البؤس البالغ وعدم الأمن ، وكانت حالة مدن الغولف بشكل خاص شديدة التعاسة ، لأن قضيتهم عانت من ضربة عنيفة عندها هزم الفلورنتين في مونتابرتو مع مذابح مروعة على أيدي التوسكان ، وبدأ أن ما نغريبن فرديريك الثاني في طريقه الى فرض سيطرته على إيطاليا كلها ولم يكن للاشياء أن حركة اللطامين بدأت في مدينة غولفية ، وازدهرت أكثر ما يكون بين الغولفيين ، ومع ذلك أعطت كل هذه البلايا الاحساس بأنها ليست سوى مقدمة لكارثة شاملة ، ولاحظ أحد المؤرخين انه خلال مواكب اللطامين كان الناس يتصرفون بخوف كما لو أن الرب كان على وشك أن يدمرهم جميعا بالزلازل وبسالنار من السماء كعقاب لهم على ذنوبهم ، وكان هؤلاء التائبون يصيحون وهم في عالم بدوا فيه وكأنهم يرفرفون على حافة هاوية وهم يضربون أنفسهم ويلقون بأنفسهم على وجوههم : « أيتها العذراء المقدسة ارحمينا اسألي يسوع المسيح أن يعفوعنا » و الرحمة الرحمة، السلام السلام ، وهم يدعون بلا انقطاع ، كما أخبرنا ، حتى بدا أن الحقول والجبال ترجع صدى صلواتهم وصممت الآلات الموسيقية وتلاشت أغاني الحب ، ولكن الذي كان هؤلاء اللطامون يناضلون لانتزاعه من الرب كان أكثر من مجرد الراحة من المتاعب الراهنة ، فقد كانت تلك السنة سنة ١٢٦٠ ، أي السنة الرؤوية ، التي فيها طبقا للتنبوءات اليواكمية الزائفنة كان العصر الثالث متوقع الوصول الى مرحلة التحقيق ، وبين المجاعة والوباء كانت اعداد وفيرة من الايطاليين تنظر بصبر نافذ بزوغ عصر روح القدس ، العصر الذي سيعيش فيه كل الناس في سلام ملتزمين بالفقر الطوعي ، مستغرقين في نعيم التأمل ، ومع مضي شهر وراء شهر أصبحت هذه التوقعات الالفية أكثر شدة حتى أخذت

صفة هستيرية يائسة نحو نهاية السنة ، و بدأ الناس يتعلقون بقشمة ، و بحلول أيلول كانت كل معركة حتى معركة مونتا برتو يمكن أن تعطي أهمية أخروية ، و عندما مضت ستة أسابيع أخرى و بدأ تشرين الثاني ظهر اللطامون ، و يذكر المؤرخ سسالبين أوف سارما الذي كان هو نفسه يواكميا كيف كان الناس متلهفين لأن يروا في هذه المواقب الحزينة بداية الفناء الكبير، و في ايطاليا ماتت حركة الجلد الجماهيرية بسرعة بعد التحرر من الوهم ، ولكن في ١٢٦١ - ١٢٦٢ عبرت الألب وعانت للظهور في مدن جنوب ألمانيا والراين ، و بدأ أن الزعماء كانوا ما يزالون ايطاليين ، ولكن بينمسا كانوا يمرون عبر المدن الألمانية اندفع السكان بالملئات ليشتكلوا مواكب جديدة ، وبلا شك كانت الحركة تملك تنظيمما بالفعل في ايطاليا ، ولكن عند هذه النقطة بدأ المؤرخون يلاحظون وجود واحدة ، وكان للطامين الألمان طقوس وأغان ، وقد صمموا حتى لباسا موحدا ، وعلاوة على ذلك بدأ أن الزعماء في حالة استحواذ على رسالة سماوية كتلك التي حملها مرة بطرس الناسك ، ومرة أخرى منذ عدة سنوات مضت - من قبل استاذ هنغاريا ، وفي هذه المناسبة بقي النص محفوظا ، وتذكر الرسالة أن لوحا من الرخام يشع بضوء خارق للطبيعة قد هبط حديثا فوق مذبح كنيسة الضريح المقدس في القدس ، في حضور جمع من المؤمنين ، وظهر ملاك إلى جازبه وتلا الرسالة التي أملاها الرب بنفسه عليه ، وكانت رسالة مفعمة بالمعاني الأخروية ، وتعج بعبارات مأخوذة من القطعة الشهيرة من سفر الرؤيا المنسوبة للمسيح ، وتحدث عن البؤس والكرب الذي سيتقدم على المجيء الثاني ، لأن الرب كان غاضبا من البشر بسبب غرورهم وتفاجرهم وتجديفهم وفسقهم وإهمالهم لصيام السبت والجمعة (ص ١٣٠) ولتعاملهم بالربا ، وفي الحقيقة من أجل كل هذه الآثام التي كان من الشائع اعتبارها بمعنى خاص خطايا دايفز ، وقد عاقب الجنس البشري بالفعل بإرسال الهزات الأرضية والنار ، والجفاف ، والطوفان والمجاعة والطاعون ، والحروب والغزوات التي خرب فيها المسلمون و الوثنيون الآخرون أراضي النصراري ، وفي النهاية بسبب غضبه من

العناد الذي تعلق به الناس بطرقهم الشريرة قرر أن يقتل كل شيء حي على الأرض ، ولكن العذراء والملائكة خروا عند قدميه وتوسلوا إليه أن يمنح الجنس البشري . فرصة أخيرة ، وتأثر الرب بتلك التوسلات ووعده أنه إذا أصلح الناس الآن طريقهم وتخلوا عن ممارسة الربا والزنا والتجديف ، فإن الأرض ستزدهر ، وستعطي ثمارا وفيرة ، وعنده هذه الأخبار بدأ المؤمنون في القدس البحث عن بعض الوسائل لشفاء الجنس البشري من نزعاته المهلكة نحو الخطيئة ، وفي النهاية ظهر الملاك مرة أخرى ليأمرهم بمتابعة موكب لطم مدة ٣٣ ر٥ يوما تذكيرا بعدد السنين التي طبقا لحساب تقليدي أمضاها المسيح على الأرض ، وهكذا - اختتمت الرسالة - جاءت الحركة : وقد أطلقها في المقام الأول ملك صقلية (ويتساءل الانسان : هل هذا فرديريك الثاني ، كمثل في الأيام الأخيرة ؟) : لقد بلغ الحج الكبير المانيا الآن ، وأي كاهن يهمل في دينونه أن ينقل الرسالة الالهية لجموع المصلين التابعين له سيكون ملعونا إلى الأبد بشكل مؤكد .

ولا يمكن للمرء إلا أن يتذكر تلك الرسالة السماوية الأخرى التي بواسطتها بعد قرنين ونصف القرن كان على ثائر الراين الأعلى أن يحاول أن يستحضر أخوة الصليب الأصفر المعادية للكليروس ، وفي حين كان فيه اللطامون الايطاليون دائما محكومين بحزم من قبل الاكليروس ، كان اللطامون الالمان قد انقلبوا في الواقع بسرعة ضد الكنيسة ، وكان الالمان كالايطاليين عارفين بالنبوءات اليواكمية الزائفة وتوقعوا القدر نفسه بالضبط من السنة الرؤوية ١٢٦٠ ، ولكنهم مالوا لأن يكونوا أكثر عنفا تجاه الاكليروس وأكثر عنادا وتصلبا بكثير في رفضهم لروما ، ولم تمض سوى سنوات قليلة منذ أعلن الأخ الالفي السوابياني أرنولد أنه هو و أتباعه كانوا الجماعة المقدسة التي ستتتولي على السلطة كلها من كنيسة المسيح الدجال في ١٢٦٠ .

وإذا مات فرديريك الثاني في تلك الفترة الفاصلة ، وبدأت فترة خلو

العرش فإن هذا متن فقط الشوق بين جموع الألمان إلى مملكة الغيبة للقديسين ، وانتهت الحركة بأن أصبحت احتكارا للفقراء ، للذساجين ، و الاسكافيين والمشتغلين بالمعادن وامثالهم ، وما أن أصبحت كذلك حتى تحولت إلى مؤامرة ضد الاكليروس ، وبدأ اللطامون بالادعاء أنهم قادرون على تحقيق الخلاص بجدارتهم وبدون مساعدة الكنييسة (ص ١٣١) وأن مجرد عملية الاشتراك في أحد مواكبهم تحل المرء من كل ذنوبه ، وسرعان ما انهمك رؤساء الاساقفة والاساقفة في عمليات حرمان وطرد هؤلاء التسانبين الخطرين مع مساعدة من امراء دنيويين مثل دوق بافاريا في عمليات القمع .

وفي المانيا وجنوب اوروبا على السواء استمرت جماعات اللطامين في الوجود على مدى قرنين من الزمان وأكثر بعد ظهورها الأول ، ولكن نشاطهم ومنزلتهم في المنطقتين اختلف بقدر كبير ، وفي إيطاليا وجنوب فرنسا ازدهرت جماعات اللطامين علنا في كل مدينة هامة ، وكانوا بشكل عام اصوليين متشددين في آرائهم الدينية ، وتمتعوا بالاعتراف من كل من السلطتين المدنية والكهنوتية ، وفي المانيا من جانب آخر كانت مثل هذه الجماعات موضع شك دائما في ميولها الانشقاقية ، وكثيرا في ميولها الثورية ، وليس بلا سبب جيد ، واستمرت الحركة التي كانت مقموعة في ١٢٦٢ في الوجود سرا ، وفي ١٢٩٦ عندما كانت المدن الواقعة على الراين تعاني من اسوأ مجاعة منذ ثمانين عاما ، ظهر هناك فجأة لطامون يرتدون لباسا موحدًا وينشدون التراتيل ، عندما زحفت أكبر حركات اللطامين في كل الأزمنة خلال المانيا كلها في ١٣٤٨ - ١٣٤٩ ، تحولت أيضا لتختص بالطقوس والأغاني ، وحتى الرسالة السماوية نفسها نادرا ما عدلت أصلا ، مما يبدو أنه برهان على أن بعضا - على الأقل - من قاداتها قد جاءوا من حركة سرية ، واستطاعوا أن يستمدوا منها بعض التقاليد .

وقد عجل الموت الأسود بانفجار ١٣٤٨ - ١٣٤٩ ويبدو إن وباء

الطاعون الدملي هذا قد نشأ في الهند وأنه انتقل برا إلى البحر الأسود ، ومن هناك عن طريق السفن إلى البحر المتوسط ، وفي أوائل ١٣٤٨ كان متفشيا في موانئ إيطاليا وجنوب فرنسا ، ومن شواطئ غرب أوروبا انتقل ببطء على طول طرق التجارة حتى بلغ كل البلاد باستثناء بولونيا التي اقامت حجرا صحيا على حدودها ، وبوهيميا التي حمتها الجبال ، وفي كل منطقة استمر الوباء من أربعة إلى ستة أشهر وتفشى بدرجة كبيرة في المدن المزحمة متغلبا على كل الجهود لكبح جماحه ، وترأصت الجثث بلا دفن في ساحات الكنائس ، ويبدو مؤكدا أنه باصطلاحات معدلات الوفيات كان هذا الوباء بلا منازع أكبر كارثة حلت بغرب أوروبا في السنوات الألف الأخيرة ، وكان أكبر بكثير مما نجم عن الحربين العالميتين معا في القرن الحالي ، وتقدير السلطات المسؤولة حديثا أنه في ١٣٤٨ - ١٣٤٩ هلك نحو ثلث السكان .

وقد فسّر الوباء وفق الطراز الطبيعي للعصور الوسطى على أنه عقاب إلهي بسبب خطايا وانتهاكات العالم الأثم ، وكانت مواكب اللطامين (ص ١٣٢) من بعض الجوانب محاولة لصرف العقاب ، وأضيفت فقرة جديدة إلى الرسالة السماوية لتأكيد هذه النقطة ، وكانت الاشاعة وهاجس الوباء وليست معاناته هي التي أوجدت المواكب ، وقد اعتاد الناس على غيابها فترة طويلة قبل أن يحل الوباء نفسه ، ومن هنغاريا ، حيث يبدو أنها بدأت في أواخر ١٣٤٨ انتشرت الحركة نحو الغرب لتزدهر فوق كل شيء في مدن وسط وجنوب ألمانيا وأخيرا في مدن وادي الراين ، حيث شعت من جانب إلى وستفاليا ومن الآخر إلى برابانت وهنوت وفلاندرز وفرنسا حتى قمعها الملك ، ومن البلاد المنخفضة انتقلت فرقة في سفينة إلى لندن حيث قامت بعرض أمام كاتدرائية القديس بولص ، ولكن في انكلترا لم تجد الحركة أتباعا .

وبأخذ الطريقة التي عملت بها الحركة في الاعتبار نجدها قد انتشرت بسرعة ، وفي آذار مثلا وصلت إلى بوهيميا ، وفي نيسان

إلى ماغديبرغ ولوبك وفي أيار إلى ووزبرغ و أوغسبرغ وفي حزيران إلى ستراسبورغ وكوندستانس وفي تموز إلى فلاندرز ، ومع ذلك إنها لم تتحرك في زحف ثابت ، وكانت التيارات الرئيسية مليئة بتيارات صغيرة وتيارات متقاطعة ودوامات ، وتقدم اللطامون في فرق متفاوتة الحجم بين خمسين إلى خمسمائة أو أكثر ، وفي ستراسبورغ كانت فرقة جديدة تصل كل أسبوع على مدى نصف سنة ، ويقال إن نحو من الف من البورجوازيين قد انضموا إليهم ، ورحلوا بعضهم إلى أعلى النهر ، وبعضهم الآخر إلى أدناه ، وكانت فرقة جديدة تصل إلى تورناي كل بضعة أيام من منتصف آب حتى بداية تشرين الأول ، وفي الأسبوعين الأولين من تلك الفترة كانت الفرق تصل إلى هناك من بروغ ، وغنت ، وسلونير ، ودوردرخت ولييج ثم انضمت تورناي نفسها وأرسلت فرقة في اتجاه سواسون ، وكفي نفهم الحركة ككل يجب أن يتصور المرء عددا من المناطق تمر واحدة بعد الأخرى في حالة من الهياج الانفصالي الذي يبقى بكامل قوته نحو ثلاثة شهور ثم يخمد تدريجيا، وفي الشرق حيث بدأت الحركة ، انتهت بحلول منتصف السنة ، وفي وسط ألمانيا بدأت تتضاءل بسرعة بعد ذلك ، وفي البلاد المنخفضة وشمال فرنسا استمرت حتى أواخر الخريف ، ولا بد أن عدد الناس الذين شاركوا في مرحلة أو أخرى كان كبيرا ، ويصعب الحصول على الأرقام ، ولكن يروى بشكل يمكن الاعتماد عليه أن ديرا واحدا في البلاد المنخفضة كان قد أصبح مركزا للحج لللطامين كان عليه أن يقدم الطعام لنحو ٢٥٠٠ في نصف سنة وأن اللطامين الذين كانوا قد وصلوا إلى تورناي في شهرين ونصف الشهر بلغوا ٥٣٠٠ . ويقال أيضا - ربما مع شيء من المبالغة - إنه عندما رفضت أرفورت أن تفتح أبوابها لللطامين عسكر نحو ٣٠٠٠ خارج الأسوار .

والذي جعل من هذه الحشود من اللطامين شيئا أكثر من الوباء ، شيئا ربما يمكن تسميته (ص ١٣٣) هنا حركة ، كان الطريقة التي نظمت بها ، وباستثناء ماكان عليه الحال في المرحلة الأخيرة في الأراضي المنخفضة ، كانت هذه المنظمة موحدة المظهر على نحو

فريد ، وكان للطاميين اسم جماعي ، وكانوا يدعون أنفسهم حملة الصليب أو الأخوة للطاميين - أو مثل صليبي ١٣٠٩ - أخوة الصليب ، ومثل أسلافهم في ١٢٦٢ - ومن هذه الناحية مثل الصليبيين - كانوا يرتدون لباسا موحدًا ، وكان في هذه الحالة ثوبا أبيض مع صليب أحمر من الأمام ومن الخلف مع قبعة أو قلنسوة مميزة بالشكل نفسه ، وكان يقود كل فرقة من اللطاميين قائد كان في الغالب ، من العلمانيين ، وكان هذا المعلم أو الأب ، كما كان يسمى ، يستمع إلى اعترافات الأعضاء و - كما لاحظ الاكليروس بفرع - يفرض الكفارات ويمنح الغفران ، سواء أثناء الجلد العلني أو في الخفاء ، وكان على كل عضو أن يقسم على الطاعة المطلقة لمعلمه طيلة فترة الموكب ، وكانت هذه الفترة ثابتة ؛ وبإستثناء بعض الموكب المحلية القصيرة في البلاد المنخفضة التي كانت تنظمها الكنيسة ، كانت دائما ٣٣٥ يوما صوفيا وخلال تلك الفترة كان اللطامون يخضعون لنظام قاس ، إذ لم يسمح لهم ، بالاستحمام أو الحلاقة أو تغيير الملابس أو النوم في فراش ناعم ، وإذا قدمت لهم الضيافة يمكنهم فقط غسل أيديهم عندما يركعون على الأرض كرمز للتواضع ، ولم يسمح لهم بالتحدث مع بعضهم بدون إذن من المعلم ، وفوق كل شيء كانوا ممنوعين من أي تعامل مع النساء ، وعليهم أن يتجنبوا زوجاتهم ، وفي المنازل التي يسكنونها لم يسمح بخدمة النساء لهم على المائدة . وإذا نطق اللاطم بكلمة واحدة لامرأة كان عليه أن يركع أمام معلمه ، الذي يضربه وهو يقول له : « انهض بحق شرف الشهادة الطاهرة ، ومن الآن فصاعدا راقب نفسك ضد الخطيئة»!

و اعتاد اللطامون لدى وصولهم إلى أي مدينة أن يأخذوا طريقهم إلى الكنيسة ويشكلوا حلقة أمامها ، ويخلعوا ثيابهم وأحذيتهم و يلبسوا منزرا قصيرا يمتد من الخاصرة إلى القدمين ، ثم يبدؤون بأداء طقس كان على الرغم من بعض الاختلافات المحلية قياسيا بشكل ملحوظ حيث يسير التائبون في دائرة ويلقون بأنفسهم واحدا بعد الآخر على وجوههم ، ويرقدون بلا حراك وأذرعهم ممدودة على

شكل صليب ، ويخطو النين في الخلف فوق الأجساد المنبطحة ، وهم يضربونها بلطف بأسواطهم وهم يمرون ، ويرقد الرجال من نوي الذنوب الكبيرة التي تتطلب التكفير و المغفرة في اوضاع ترمز الى انتهاكاتهم ، وفوق اجساد هؤلاء يخطو المعلم نفسه ، وهو يضربهم بسوطه وهو يكرر صيغته للغفران ، « انهض بحق شرف الشهادة الطاهرة » .

وعندما ينبطح اخر الرجال يقف الجميع على اقدامهم ويبدأ الجلد ، فيضرب الرجال انفسهم بايقاع بسوط جلدي مسلح باشواك حديدية وهم ينشدون التراتيل في تلك الاثناء احتفالا بالام المسيح ومجد العذراء ، وكان ثلاثة رجال (ص ١٣٤) يقفون في مركز الدائرة يقودون الغناء وفي مقاطع معينة ثلاث مرات في كل ترتيلة ، يرتمي الجميع ارضا كما لو كانوا قد اصابوا بصاعقة وينبطحون بانزع ممدودة وهم ينتحبون ويصلون ، وكان المعلم يسير بينهم ويأمرهم بالابتهاال الى الرب ليرحم كل الخاطئين وبعد برهة يقف الرجال ويرفعون ايديهم نحو السماء وينشدون ثم يعاودون جلد انفسهم ، واذا حدث مصادفة ان دخلت امرأة او كاهن الدائرة يصبح اللطم كله غير صالح ويجب ان يعاد من البداية ، وفي كل يوم تجري عمليتا لطم كاملتين أمام الناس ، وكل مساء تجري ثالثة في الخفاء في غرفة النوم ، وكان اللطامون يقومون بعملهم باجتهاد حتى انه كثيرا ما تنغرس الاشواك في اللحم وتحتاج لانتزاعها ، وكانت دماؤهم تتناثر على الجدران وتتحول أجسادهم الى كتل من اللحم الأزرق .

وكانت جماهير السسكان تنظر بتقدير إيجبابي الى اللطامين ، وحيثما ذهب التسائبون كانت تتدفق عليهم الحشود للمشاهدة والاستماع الى الطقسوس المقدسة والضرب المخيف ، والتراتيل - ربما المرات الوحيدة التي سمعت حتى الآن في لغة قابلة للفهم من قبل الجماهير - وعذد الأوج كانت تلاوة الرسالة السماوية تحدث تأثيرا غامرا ، حتى ان كل المستمعين كان

يغمرهم النحيب و التأوه ، ولم تكن مصداقية الرسالة موضع تساؤل ، وكان ينظر الى اللطامين - كما كانوا يرون في أنفسهم - لا كمجرد تائبين يكفرون عن خطاياهم ، بل كشهداء يأخذون على عاتقهم خطايا العالم وبذلك يتجنبون الوباء ، وإبادة الجنس البشري في الواقع ، وعندما كان موكب اللطامين يقترب من مدينة من المدن كانت تقرر النواقيس ، وعندما ينتهي اللطم كان السكان يهرعون لدعوة المشتركين الى منازلهم ، وكان الناس يسرون بالاسهام في تكاليف الشموع والاعلام وحتى السلطات المدنية كانت تنفق بحرية من الأموال العامة .

إنها قصة الرعاة ، وكما في كل الأوقات منذ بدات الحضارة في الانتعاش والثروة المادية في الازدياد ، لم تكن الجماهير المدنية راضية عن الكهنة الذين - بأي عدالة - لم ترفيهم سوى الدنيوية وعينات الانتقادات التي كان منتشرة في تلك الايام من منتصف القرن الرابع عشر ، وحفظت في تعابير الكهنة أنفسهم ، يقول احدهم : « لقد تغفل بيع وشراء المناصب الكهنوتية بعمق كبير وترسخ ، حتى أن رجال الاكليروس المدنيين والنظاميين سواء من المراتب العليا او الوسطى او الدنيا ، كانوا يبيعون ويشتررون الوظائف الكهنوتية بلا خجل ، (ص ١٣٥) وحتى علنا دون تأنيب من احد ، ناهيك عن العقاب ، وبدا كما لو أن الرب بدلا من طرد البائعين والمشتريين من المعبد ، قد وضعهم بالحري ، داخله ، كما لو أن بيع المناصب الكهنوتية يجب أن لا يعتبر هرطقة بل كنسيا وكاثوليكية ومقدسا ، وكانت الأوقاف الكنسية أو بيوت الكهنة ومناصبهم ومناصب رعاة الأبرشيات و حتى الأبرشيات و الكنائس الأبرشية و المذابح تباع لقاء المال أو تستبدل بالنساء والعشيقات ، أو يراهن عليها وتخضع للربح والخسارة في لعبة نرد . وكانت مرتبة ومهنة كل فرد تعتمد فقط على المال والنفوذ أو اعتبارات الربح الأخرى ، وكانت أديرة الراهبات والرهبان ورعايتها ، والوصاية عليها وادارة المدارس وحتى المحاضرات تباع من قبل الاساقفة أو مجلس الكرادلة التابع للبابوية الى رجال من

عديمي الكفاءة . خام ، جهلة صغار السن وبلا خبرة ، تباع بكل ما يمكنهم تحصيله سواء من السرقة أو الوسائل الأخرى ، أو ربما يغتصبونه بأي طريقة أخرى ، ومن هنا ليس من السهل الآن أن نجد بين شخصيات الكهنوت المدني والنظامي من يمكن احترامه مع شيوع هذا واعتماده بشكل عام ، أنظر الى رؤساء أديرة الراهبان وأديرة الراهبات وأديرة الفرنسيسكان ورؤساء الكنائس والكهنة والمعلمين المحاضرين وتنهد! أنظر الى حياتهم ومثلهم وسلوكهم وتعاليمهم والأوضاع الخطرة لهؤلاء في مهامهم وارتجف! اشفق علينا أيها الرب ، يا ابا الرحمة ، إننا ائمتنا تجاهك »

وصاح كاهن آخر : « كم أصبحت حالة الكنيسة مزرية ! إن رعاية الأبرشيات يطعمون أنفسهم بدلا من قطعانهم ، والقطعان التي يجزونها ، أو أنهم بالأحرى يسلبونها ، إنهم لا يتصرفون كرعاة بل كذئاب ! لقد هجرت المحاسن كلها كنيسة الرب ، فلا بقعة صحيحة فيها من التاج الى النعل !»

والمدى الدقيق الذي يمكن بلوغه في تسويغ هذه الشكاوى غير ذي موضوع وما هو مؤكد أن العامة لم يكن باستطاعتهم بسهولة أن يجدوا بين الكهنة ما كانوا في أمس الحاجة اليه ، لقد كانوا محتاجين الى رجال من نوي الطهارة الدينية ، ممن يضمن زهدهم بوضوح قدراتهم في صنع المعجزات وبدا أن اللطامين من جانب آخر هم هؤلاء الأطهار ، وقد ادعوا أنفسهم أنهم خلال جلدتهم لم يكونوا فقط متحررين من كل خطيئة ومطمئنين من السماء بل كانوا مدعمين لطرده الشياطين ، وشفاء العلولين وحتى إحياء الموتى ، وكان هناك لطامون يدعون أنهم يأكلون ويشربون مع المسيح ويتحدثون الى العذراء ، وادعى واحد على الأقل بأنه بعث من الموت ، وكانت كل هذه الادعاءات تتقبل بلهفة من قبل الأهالي ، ولم يحضر الناس مرضاهم فقط ليتلقوا الشفاء من هؤلاء الرجال المقدسين ، بل كانوا يغمسون الثياب في الدم السائل منهم ويحفظونها كأثار مقدسة وكان الرجال والنساء على السواء يتوسلون كي يسمح لهم بضغط هذه

الملابس على عيونهم ، وفي إحدى المناسبات حمل طفل ميت حول الدائرة أثناء عملية الجلد على أمل بعثه من الموت ، وكان أينما ظهر اللطامون في المانيا كانت العامة من الناس ولا سيما في مراكز الصناعة والتجارة تنظر اليهم على أنهم رجال الرب وكانوا في الوقت نفسه يلعنون الاكليروس وقدم هذا للطاميين الفرصة التي كان العديد منهم ينتظرها (ص ١٣٦) .

لطامون ثوريون

وحدث فقط في أماكن محدودة من الأراضي المنخفضة أن تمكن الاكليروس من السيطرة بشكل فعال على حركة اللطاميين في عام ١٣٤٩ ، وانتهت هذه الحركة في أجزاء أخرى من البلاد المنخفضة وفي كل المانيا الى حركة مقاتلة متعطشة للدماء تسعى وراء الالفية .

وكانت تلك اللحظة الأكثر مواءمة لمثل هذا التطور ، لأن التوقعات الاخروية كانت منتشرة على نطاق أكثر اتساعا وشدة ، ولم يكن مصادفة في تلك السنوات ، أن أكثر المسرحيات الالمانية المتعلقة بالمسيح الدجال شهرة ، كانت قد صنعت وعرضت ، وكان الناس في ١٣٤٨ بالفعل يفسرون الهزات الأرضية في كارنثيا وايطاليا على انها المحن المسانحية التي تعلن عن اقتراب الأيام الأخيرة ، وحتى إذا لم يخبر المرء بذلك بوضوح ، فإنه كان يفترض بأن الكارثة المروعة الفريدة للموت الأسود يمكن أن تفسر في المعنى نفسه ، وفي الحقيقة إن معاناة عدم الأمن الشامل ، والارتباك والقلق كان له الأثر - كما كان كثيرا جدا - على زيادة الاثارة الاخروية بين الجماهير ، الى وتيرة الحمى ، وكانت مواكب اللطاميين تظهر في الدراما المتعلقة بانهيار العالم وتحوله في الأيام الأخيرة التي كانت تتكشف الآن عن هولها وقوتها : « لقد حكم الوباء عامة الناس وقضى على العديد منهم واهتزت الأرض وأحرق رجال من اليهود » .

كان عدد كبير وغريب من الرجال نصف العراة يضربون أنفسهم، وبالطبع كمنت وراء هذه المحن الألفية، وكان العديد من الناس يعيشون في توقعات مجيء المسيح المحارب، كما حدث فيما بعد في فتنة ثوار الراين الأعلى، وبالضبط في ١٣٤٨ يذكر جون أوف ووترث كيف كان الناس بشكل عام وبلهفة يتوقعون بعث الإمبراطور فرديريك الذي سيذبح الكهنة ويجبر الأغنياء على الزواج من الفقراء، وفي تلك السنة أيضا كان يفترض أن أحد « المنجمين الكبار » قد تنبأ ليس فقط بوباء الطاعون بل أيضا بمجيء إمبراطور سيشتت ويحاسب البسبا وكرادته ويطيح بملك فرنسا، ويمد سلطانه ويثبتته فوق جميع أنحاء البلاد.

ومن المؤكد أن عددا كبيرا من اللطامين أنفسهم عاشوا في عالم من خيالات الألفية، وروى مؤرخ معاصر أن مواكب ١٣٤٩ التي كان كل منها يدوم ٣٣.٥ يوما كانت تعتبر مجرد بداية، وكانت الحركة ككل تعتمز الاستمرار ٣٣.٥ سنة بانقضائها (ص ١٢٧) تكون النصرانية قد أنقذت، وكشف تحري معتقدات اللطامين في برسلاو أيضا انشغالا بالألفية، وكان التائبون هناك يرون كيف أن مراتب الرهبنة والأخوانيات الرهبانية الموجودة ستتعرض لمحن عظيمة حتى يتم مرور سبع عشرة سنة (نصف مدة التحول الكلية!) وعندها سيتم استبدالها بمراتب رهبانية جديدة تبقى حتى النهاية، وهذه بالطبع نبوءة موجودة في التقاليد اليواكمية، وعند هذه النقطة مفيد التذكير بعودة ظهور الرسالة السماوية التي سلمت هي نفسها منذ ١٢٦٠، السنة الرؤوية للنبوءة اليواكمية. ولم يكن للأشياء أن مثل هذه الوثيقة قد أصبحت بياننا لحركة اللطامين لأنه من المؤكد أنه عندما كان اللطامون يتحدثون عن حركة رهبانية جديدة ذات قدسية فريدة، إنما كانوا يشيرون إلى أنفسهم فقط. لقد رأى هؤلاء الناس حقا في أنفسهم أناسا مقدسين وجيشما من القديسين، أنهم لم يسموا أنفسهم ببساطة حملة الصليب وأخوه الصليب فخلال ايقاعهم العذاب بأنفسهم كانوا يتغنون بالأم المسيح، بل كثيرا مامضوا إلى أبعد من هذا بكثير مدعين أن المسيح

بنفسه قد أراحه الدامية ، وأمرهم أن يقوموا بضرب أنفسهم ، وكان بعضهم حتى يقول صراحة ، إن أي سفك دماء لا يمكن أن يقارن بسفك دمائهم سوى ما جرى عند صلب المسيح ، وأن دمهم قد اختلط بدم المسيح . وأن كليهما كان له القوة المخلصة نفسها .

وكما يمكن أن يتوقع ارتبط تطور هذه التخييلات بتبدل في التركيب الاجتماعي لمواكب اللطامين ، فلقد كانت الحركة دائماً مؤلفة في أساسها من الفلاحين والحرفيين ، ولكن حيث أن النبلاء والبرجوازيين الأغنياء شاركوا فيها أيضاً في البداية ، وهم بخروجهم منها تغير طابعها بفعل جمهور المجندين الجدد من حواشي المجتمع من المتشردين والفلسين والخارجين على القانون والمجرمين من كل الأنواع ، وفي الوقت نفسه انتقلت الزعامة إلى أيدي عدد من المتذبذبين الذين كانوا إلى حد كبير يتألفون من الكهان المنشقين والمرتدين ، وعندما قرر البابا في النهاية أن يصدر بياناً ضد اللطامين جعل من الواضح إنه يعتبر الغالبية اناساً بسطاء ضلوا من قبل المهرطقين الذين ، كانوا هم أنفسهم فقط يعرفون جيداً ما يفعلون ، وأضاف أن المهرطقين يضمون أعداداً من الرهبان والأخوة الرهبانيين وأن هؤلاء يجب القبض عليهم حتماً ، وعبر مؤرخ من البلاد المنخفضة أيضاً عن هذه الفكرة ، بأن الحركة قد نظمت بهدف القضاء على الكليروس والكنيسة ، من قبل رهبان مرتدين في المانيا ، وبعد اختفاء الحركة عن الأنظار بثلاث سنوات ، كان رئيس اساقفة كولون ما يزال يهدد بالحرمان الشمامسة والكهنة الأدنى ، الذين شاركوا فيها ، مالم يقدموا شهوداً يقسمون على براءتهم (ص ١٢٨) وظهر الذي وقف وراء هذه الاتهامات في أحداث برسلو ، وهي مدينة جاهر اللطامون فيها علناً بمعتقداتهم البواكمية ، ومن المعروف أن الزعيم هناك كان شماساً حرض اتباعه على مهاجمة الكليروس وانتهى بحرقه كمهرطق .

ومع تحول اللطامين إلى حركة مسانحة جماهيرية أصبح

سلوكها شبيها بسلوك اسلافها في الحركة الصليبية الشعبية ، و انتهى اللطامون الألمان بشكل خاص بأن أصبحوا اعداء متصلبين للكنيسة ولم يدينوا الاكليروس فقط بل انكروا تماما ادعاء الاكليروس سلطة سامية غير طبيعية ، وانكروا أن يكون للقربان المقدس أي معنى ، وعندما قدم القربان للحشود رفضوا إظهار أي احترام له ، لقد قاموا بتطبيق مقاطعة الصلوات والخدمات في الكنيسة ، قائلين بأن احتفالاتهم وتراثليلهم وحدهما هي التي لها قيمة ، لقد وضعوا أنفسهم فوق البابا و الاكليروس على أساس أنه في الوقت الذي يمكن فيه للأكليروس أن يرجعوا فقط الى الانجيل والآثار كمصدر سلطتهم ، تعلموا هم أنفسهم مباشرة من روح القدس التي أرسلتهم عبر العالم ، وقد رفض اللطامون مطلقا سماع النقد من أي كاهن ، بل على العكس - تماما كاستاذ هنغاريا - أعلنوا أن أي كاهن يعارضهم يجب سحبه من على منبر وعظه وحرقه على الخازوق ، وعندما غامر اثنان من الدومينيكيان بالجدال مع اللطامين رجما فقتل أحدهما ونجا الآخر بالهرب ، وحدثت أحداث مماثلة في أماكن أخرى ، وفي بعض الأحيان كان اللطامون يحدثون الناس على رجس الاكليروس بالحجارة ، وكل من يحاول تهدئة ثأرتهم ضد الكنيسة ، بما في ذلك أعضاء جماعتهم ، كان يفعل ذلك مخاطرا بنفسه ، وشكا البابا من أن هؤلاء التائبين كانوا كلما وجدوا الفرصة انتهزوها فكانوا يستولون على الممتلكات الكهنوتية لصالح أخوتهم ، وقال مؤرخ فرنسي كانت حركة اللطاميين ترمي الى تدمير الكنيسة تماما ، والاستيلاء على ثرواتها ، وقتل كل الاكليروس ، وليس هناك من دليل على أن أيًا منهما كان يبالغ.

وكالمعتاد عانى اليهود الى جانب الكهنة وبدرجة أكبر بكثير ، وفي المذبحة الكبرى ليهود أوروبا التي رافقت الموت الأسود - وهي الأكبر قبل القرن الحالي - شغل اللطامون دورا هاما ونفذت عمليات القتل الأولى تلقائيا من قبل جماهير كانت قانعة بأن اليهود قد سببوا الوباء بتسميم الآبار ، وانتهت بحلول آذار ١٣٤٩ ربما

لان الناس في ذلك الوقت قد لاحظوا أن الطاعون كان يصيب اليهود بالقدر نفسه الذي كان يصيب به المسيحيين ، وأنه لم يوفر المناطق التي قتل فيها اليهود بالفعل ، وبعد ذلك بأربعة شهور انطلقت موجة جديدة من الذبح بفعل دعاية اللطامين ، وحيثما قامت السلطات حتى الآن بحماية اليهود أخذت هذه الحشود الآن تطالب بذبحهم .

وعندما دخل اللطامون في تموز ١٣٤٩ فرانكفورت اندفعوا رأسا الى الحي اليهودي ، حيث انضم اليهم اهالي المدينة في اباداة الطائفة ، وقد اقلقت الحادثة السلطات حتى انهم اخرجوا التسائبين من المدينة وعززوا البوابات لمنعهم من العودة ، وبعد ذلك بشهر حدثت مذبحة متزامنة في مينز وكولون ، واثناء موكب للطامين في مينز هرولت حشود النظارة فجأة بشكل مسعور لتلقي بنفسها على اليهود ، وكانت النتيجة ان الطائفة الاكبر لهم في المانيا قد ابديت ، وفي كولون دخلت فرقة من اللطامين كانت معسكرة لبعض الوقت في الخارج الى المدينة وجمعت حشدا كبيرا ممن ليس لديهم مايفقدونه ، وضد رغبة مجلس المدينة والبرجوازيين الاغنياء هاجمت هذه الحشود اليهود وقتلت ود اليه ووقلت كثيرا منهم . و في بروكسل أيضا أدى اقتراب اللطامين الممتزج بشائعات تسميم الآبار إلى قيام مذبحة قتل فيها كل افراد الطائفة اليهودية وعددهم ٦٠٠ ، وذلك على الرغم من جهود دوق برابانت لحمايتهم ، وفي مناطق واسعة عبر البلاد المنخفضة كان اللطامون بمساعدة حشود الفقراء ، يحرقون ويغرقون كل من يمكنهم العثور عليه من اليهود « لانهم كانوا يعتقدون بانهم يفرحون الرب بهذه الطريقة » .

إن المصادر ضئيلة ، ويستحيل القول كم هو عدد مثل هذه المذابح التي قادها او اثارها اللطامون خلال النصف الثاني من سنة ١٣٤٩ ؛ ولكن لا بد انها كانت كثيرة ، واصبح اليهود انفسهم يعتبرون اللطامين اسوا اعدائهم ، في حين اطلق البسايا احدى شكاياته الرئيسة ضد اللطامين من « ان معظمهم ، او معظم

اتباعهم ، دون مظهر الورع ، وانهم يطلقون ايديهم في اعمال قاسية غير تقيية ، و يسفكون دماء اليهود ، الذين تقبلهم التقوى المسيحية وتدعمهم ، ، ومن شبه المؤكد انه في الوقت الذي انتهى فيه اللطامون عملهم الذي اثاره هلع ١٣٤٨ ، كان هناك بقية ضئيلة جدا من اليهود في المانيا والبلاد المنخفضة ، وقد اكملت مذابح ١٣٤٨ - ١٣٤٩ تدهور وضع اليهود الذي بدأ في ١٠٩٦ ، وخلال بقية العصور الوسطى بقيت الطوائف اليهودية في المانيا صغيرة وفقيرة ، ومدانة بعزل الحي اليهودي عن المجتمع .

هل كان اللطامون يعتزمون ايضا القضاء على ذلك العدو التقليدي ، ذلك المشخص في دايفز ؟ هل كانوا يعتزمون مثل الجماهير الاخرى التي كانت تستلهم الايمان بالاخرويات ، القضاء على الاغنياء واصحاب المزايا ؟ لقد اتهمهم بالسلب وقتل العلمانيين مثلما قتلوا الكهنة واليهود ، في حين ان احد المؤرخين يخصص بأن اصحاب الثراء فقط الذين (ص ١٤٠) هوجموا ، وبالتأكيد قدر لهذه الجموع ان تصبح في النهاية موضوع خشية « العظيم » مثل ماكان الرعاة .

ففي فرنسا حظر فيليب الخامس اللطم العلني تحت طائلة الموت ، وبذلك اصبح قادرا على منع الحركة من التوغل لاعمق من بيكاردي ، وفي المانيا اغلقت بعض المدن مثل ارفورت ابوابها في وجه جموع اللطامين ، في حين ان اخرى مثل اخن ونورمبرغ توعدت بالموت اي لطام يوجد ضمن اسوارها ، وماتخوفت منه هذه السلطات المدنية يظهر بوضوح كاف من قصة اللطم الصغرى التي صاحبت تفجرا جديدا للطاقون في ١٤٠٠ ، ففي تلك السنة سجن اللطامون في فيزيه على الماس ، ولقوا مقاومة من مدينة تونغرين ، وتم قمعهم في غنت من قبل كونت فلاندرز ، وعندما اقتربت فرقة من اللطامين من ماستريخت حاول الاثرياء من البرجوازيين اقفال البوابات في وجهها ، ولكن البروليتاريا من قصاري القماشن هبوا وقضوا على الحكام ومؤيديهم ، وسمحوا للتائبين ، ثم بعد ان تقووا بوجود

هؤلاء الرجال المقدسين ، اقفلوا البوابات في وجه الحاكم المطلق
للمدينة ، اسقف لياج .

وبحلول النصف الثاني من سنة ١٣٤٩ اصبحت حركة اللطامين
قوة بالفوضويه نفسها للثورتين الكبيرتين للرعاة ، وحركت ضد
نفسها ائتلاف القوى المدنية والاكليروسية نفسه واتجه امراء
واساقفة المناطق التي ازعجها اللطامون الى السوربون طلبا
للنصيحة ، واحالت السوربون الامر الى البابا في افينيون غير انها
ارسلت اليه ايضا احد دكاترتها ، الراهب الفلمنكى جين دي فايت ،
الذي درس الحركة في وطنه ، وعندما بلغ الوباء جنوب فرنسا للمرة
الاولى ، في ايار من السنة السالفة اقام كليمنت السادس حفلة لطعم
عامة اشتركت فيها اعداد كبيرة من الجنسين ، وفيما بعد ادرك خطر
هذه الحفلات ، وهكذا قوبلت احدى فرق اللطامين التي كانت قد
وصلت الى افينيون من بازل بالتعذيف ، واثار الان تقرير فايت
استجابة فورية ، ففي تشرين اول ١٣٤٩ ، اصدر البابا مرسوما
ضد اللطامين ، وبعد تلخيص اوهامهم وغلوهم المذهبي واسماءاتهم
تجاه الاكليروس واليهود اشار المرسوم الى ان هؤلاء الناس كانوا
بالفعل يتجاهلون السلطات المدنية ، واضاف انهم اذا لم يقاموا الان
فانهم قد يصبحون مستعصين على المقاومة ، لهذا يجب قمع
هذه « الزمرة » من « معلمي » الخطيئة كما ينبغي اعتقال الذين
احكموا بناء عقائدهم وان يحاسبوا بالحرق اذا لزم الأمر ، وقد
ارسل المرسوم الى رؤساء الاساقفة في المانيا ، وبولونيا وفرنسا ،
وانكلترا والسويد وتبعته رسائل الى ملوك فرنسا وانكلترا واعلنت
جامعة باريس الان ايضا ادانتها الرسمية ، واسرع الكهنة بكتابة
رسائل دعائية ضد اللطامين (ص ١٤١)

وكان تأثير المرسوم فوريا ، ومنع رؤساء الاساقفة والاساقفة في
كل المانيا والبلاد المنخفضة قيام المزيد من حفلات اللطم ، ووجد كثير
من كهنة الابرشيات والقسس وحرموا من الكنيسة واتجهوا الى

أفينيون لالتماس الغفران ، وتعاونت السلطات المدنية بحماس لكبح الحركة .

واما المدن التي كان اللطامون مائزالون يترددون عليها ، فقد اتخذت الاجراءات للتخلص منهم ، ونسمع عن لطامين قُطعت رؤوسهم بأمر من احد الكونتسات ، وعن عدد كبير شنقوا في وستفاليا ، وبناء على امر من رئيس الاساقفة قامت السلطات المدنية في ابرشية تريير باعدام اللطامين وكادت ان تبدهم ، وتحت ضغط الاضهاد هجر معظم التائبين بسرعة حركتهم وبعبارات احد المؤرخين « اختفوا فجأة كما ظهوروا فجأة كأشباح الليل او اشباه الاشباح ، ومزق بعضهم فعلا لباسهم الموحد وهربوا » ، وفي السنة التالية التي حدث ان كانت سنة مقدسة كان العديد يؤدون الكفارة بالضرب ولكن هذه المرة من قبل الكهنة ، امام المذبح العالي للقديس بطرس في روما ، ومع ذلك فقد تخلفت الحركة هنا وهناك ، ووجد في مدينة تورناي ضرورة لتجديد حظرها من حين لآخر حتى ١٣٥١ ، وكان اسقف اوترخت مائزال يلاحق اللطامين في ١٣٥٣ ، وكان على رئيس اساقفة كولون ان يتعامل معهم في ١٣٥٣ ، ومرة اخرى في ١٣٥٧ ، وبعد ذلك لم يعد يسمع شيء عن اللطامين في تلك المناطق الغربية .

وفي اطار الايمان الشعبي بالاخرويات تثير قصة حركة اللطامين في ١٣٤٩ تساؤلا واحدا واضحا : هل كان هناك في مكان ما في المانيا بين المخلصين الذين عينوا انفسهم من حاول بوساطة حركة اللطامين ، احداث حالة قلق عام ، يمكنه ان يذتحل فيها علنا دور المخلص الاخروي ؟ ولسوء الحظ ان المصادر المتوفرة لاتقدم جوابا ، ويمكن للمرء فقط ان يشير الى حركة لطم اصغر ظهرت في ايطاليا قبل بضع سنوات وهربت ايضا من السيطرة الكهنوتية ، وفي هذا المثال كان المعروف ان القساند كان من العلمانيين واسمه دومينيكوسافي من اسكولي وكان بعدما امضى سنوات عديدة كناسك ادعى انه اصبح ابنا لله : ومن اجل ذلك أحرق كمهرطق ، وهذا

بالطبع لا يؤكد وجود شخصية مماثلة في ١٣٤٩ في المانيا ، وانما يجعل هذا يبدو كمجرد احتمال فقط ، ومن جانب اخر كانت هناك معلومات وافرة فيمما يتعلق بمسيح لطام يدعى كونراد شممد - وهونظير للمبتدع الايطالي ، وفي الوقت نفسه فردريك الزائف الذي رأس في ١٣٦٠ الحركة التي تحولت تحت ضغط الاضهاد الى طائفة سرية في مدن وسط وجنوب المانيا ، وقصة هذا الرجل واتباعه تستحق البحث بشيء من التفصيل .

سرلطامي ثورنجيا

كان كونراد شممد رجلا علمانيا متعلما بدرجة كافية ، (ص ١٤٢) لينغمس في بحوث النبوءات الرؤوية في مكتبة احد الاديرة ، وكان ايضا مطلعا تماما على المعارف التقليدية المتعلقة بشمكل ما بعقائد اللطامين الباطنية ، ومن جميع النواحي كان مذهبه ببساطة مذهب التائبيين في عام ١٣٤٨ - ١٣٤٩ ، وبالنسبة لاتباعه كان جلد الذات تشبها بالمسيح تقليدا جماعيا وتضحية خلاصية حمت وحدها العالم من كارثة نهائية مدمرة ، بفضل ذلك اصبحوا هم انفسهم نخبة مقدسة ، وبالنسبة لهم ايضا كان امرا متوقعا رفض كنيسة روما وكل اعمالها ، وتسخيف القربان المقدس ، وتسمية الكنادس عصابة لصوص ، وشجب الاكليروس ، على أنهم مصاصوا دماء ودجالون كشفت طبيعتهم في وحش سفر الرؤيا ، بل وحتى انكار سلطة القوى المدنية ايضا ، باصرارهم على ان الامبراطور ليس له عليهم حق للطاعة اكبر مما للبابا ، وان كل القوانين بلا استثناء لاغية بالنسبة لهم ، ويؤكد هؤلاء الطائفون فقط مايمكن تخمينه بالفعل من سلوك اسلافهم ، ومع ذلك نجد من نواح اخرى ان مباشر به شممد هو اشد وضوحا ، وفيه يظهر الايمان المسائحي الذي طبق روما في حركات اللطامين في المانيا بأعظم تأكيد ممكن .

وطبقا لهذه التعاليم كانت نبوءات اشعيا Isaih التي

عدت تقليديا منبئة بمجيء المسيح كانت في الواقع تشير الى مجيء شمد ، الذي اصبح الان الحامل الوحيد للديانة الصحيحة . ومن هذا يبدو أنه عندما قال خصوم شمد الكاثوليك انه اعتقد في نفسه انه رب إنما كانوا يقولون الحقيقة المتسمة بالاعتدال ، وفي الوقت نفسه ادعى قائد اللطامين لقب ملك ثورنجا ، ولعله لم تزدهر حركة اللطامين لعامي ١٣٤٨ - ١٣٤٩ في اي مكان اخر بالقوة نفسها كما ازدهرت بها في المنطقة الواسعة من وسط المانيا التي كانت تعرف في ذلك الوقت باسم ثورنجا ، ولم تبق أي مدينة أو قرية دون أن تتأثر ، ولقد أصبح اللطامون شعبيين وأقوياء حتى انهم حرضوا عامة الناس على رجم الاكليروس ، وقد اقفلت ارفورت بواباتها في رعب في حين كانت حشود اللطامين تعسكر في الخارج ، ومع هذا في تفحصنا مسألة ملك ثورنجا نجد أن شمد لم يكتشف في ثورنجا منطقة موائمة بشكل خاص لرسالته ، ذلك أن ثورنجا كانت أيضا المنطقة التي شغلت دورا فريدا في صنع هيكل التقاليد الشعبية المتعلقة بفردريك امبراطور المستقبل .

ومن ١٣١٤ إلى ١٣٢٣ كان يحكم ثورنجا حفيد لفردريك الثاني هو النبيل فردريك المقدم ، وكان هناك في هذا الوقت زمرة ترى في هذا (ص ١٤٣) الرجل الوريث الطبيعي للجلال الامبراطوري ، وتذشر دعاية تبسط ادعاءاته ، بينما أصبح في نظر عامة الناس شخصية إجروية ، وكان الاعتقاد على نطاق واسع انه يحمل علامة الميلاد المعجزة - الصليب الذهبي المضيء بين لوحى الكتف - وهي العلامة التي كانت مقدرة لامبراطور الأيام الأخيرة ، وكان يتوقع أن ينفذ العقاب النهائي بحق الاكليروس . وبعد موته اندمجت شخصية فردريك المقدم في شخصية جده لأمه ، الامبراطور .

وبدا اهالي ثورنجا يتحدثون عن فردريك الغامض الذي كان ينام في جبل كيفهاوزر والذي سيعود يوما في ابهة ليسود العالم من مملكته في ثورنجا ، وهكذا بإدعائه أنه ملك ثورنجا كان كونراد شمد يدعى

انه فردريك النبوءة الأخروية ، وهذا ما عناه عندما وضع نفسه في مركز المعارضة للذنبيل الحاكم ، مدعيا أنه هو نفسه لديه مآثر أكبر بكثير في رصيده ، وكان عامة الناس يسمونه الامبراطور فردريك ، وعندما ادعى فردريك أنه القائم والرب المجسد ، كان هذا المهرطق الكبير يشغل بالفعل الدور الذي قدر له أن يستحوذ بعد قرن ونصف القرن على خيال ثائر الراين الأعلى .

وحتى يتم قبول من سيصبح عضوا في الطائفة كان عليه ان يقدم اعترافا كاملا لشمد وأن يجري عملية جلد بيديه ، ويؤدي قسما بالطاعة المطلقة له ، ومن هذه اللحظة وما بعدها كان الالتزام الوحيد الذي يعرفه هو الخضوع التام للمسيح ، وعلم شمد أتباعه أن خلاصهم يعتمد على موقفهم تجاهه فإذا لم يكونوا « بنعومة الحرير وليونته » في يديه ، وإذا أظهروا أدنى نضال بعد الاستقلال ، فإنهم سيسلمون للشيطان ليعذبوا جسديا وعقليا فهو كان ربهم ويجب أن يصلوا له وأن يخاطبوه « أبانا » .

وكان للذين أخلصوا لشمد جوائزهم فبإمكانهم أن يبتهجوا بالمعرفة الأكيدة بأن فيهم وعبرهم سيبيلغ التاريخ البشري غايته الحقيقية، وكانوا يرون أن لطامي ١٣٤٩ كانوا يمتون إليهم بمثل درجة القرابة التي قامت بين يوحنا المعمدان والمسيح ، وفي الواقع إن المسيح نفسه لم يكن سوى بشير بهم ، وبلاشك أنه قد أرشد إلى الطريق الصحيح ، إلى الخلاص بتحملة للجلد وإنه فقط الذين يجلدون أنفسهم هم الذين يمكنهم الادعاء أنهم يتبعون الطريق إلى النهاية ، والآن إن الشريعة المسيحية قد استبدلت بشريعة أعلى (يمكن للمرء التعرف على النمط اليواكيمي المؤلف) واتباع كونراد شمد هم فقط حملة هذه الشريعة ، وتاما كما حول المسيح الماء الى نبيذ ، إنهم حولوا العماد(ص ١٤٤) بالماء الى عماد بالدم ولقد ابقى الرب في الواقع افضل النبيذ للنهاية ولم يكن هذا النبيذ شيئا غير الدم الذي يسفكه اللطامون.

وكان هؤلاء الناس قانعين أنهم وهم يضربون أنفسهم فإن ملاكا يدعى - بشكل مدهش - فينوس كان يرقبهم ، وجلودهم الحمراء كلها كانت تبدو مكسوة لحفل زفاف ، والمآزر التي يلبسونها أثناء الجلد كانوا يسمونها لباس البراءة ، ولكم كانت بهجة الأنبياء عظيمة لو أنهم عاشوا في تلك اللحظة وشاركوا في هذا اللطم المقدس ! وبالنسبة للملك داود فقد تنبأ في الواقع بهذا النعيم ، وقد دفع إلى اليأس عندما علم بأنه لن يعيش أبدا للانضمام إلى الطائفة ، حتى أنه وزوجته كانا يضربان نفسيهما كل ليلة كطريقة للمشاركة في تلك الأعمال التي كانت تسر الرب فوق كل شيء آخر ، بيد أن كل هذا لم يكن سوى تذوق للفرح الذي سيأتي ، للملكة الالهية التي ستظهر عن قريب ، وفيها يتجمع اللطامون حول امبراطورهم الرب ليشكلوا فرقة انشاد ملائكية ، وسيدعون أبناء الأمراء ، وفي هذه الأثناء ، باع كثير من أعضاء الطائفة ، وقد استنفدوا صبرهم حاجياتهم ورفضوا العمل حتى يفرقوا بسرعة في فقر مدقع .

وكما في ١٣٤٨ - ١٣٤٩ كانت دعاية اللطامين مازال مدعمة بالوباء ، وكانت انفجارات أصغر ولكنها منذرة بلا جدال تستمر في الحدوث كل بضع سنوات لتثير كل مرة موجة جديدة من الذعر ، وربما كان الوباء الخطير بشكل خاص في ١٣١٨ هو الذي ألهم شميد أن يعلن أن الحساب الأخير سيعقد وأن الالفية ستبدأ في السنة التالية ، ولكن بحلول هذا الزمان كان الاستجواب والتحقيق ومحاكم التفتيش كانت أيضا قد بدأت بالاهتمام بتكاثر مجموعات المهرطقين في ثورنجا ، وأرسل محقق واضح الشدة للتعامل مع الحالة ، وكانت هناك إعدامات كثيرة ، وهناك أساس للاعتقاد بأن كونراد شميد كان أحد المهرطقين السبعة الذين أحرقوا في ١٣٦٨ في نوردهوزن على بعد خمسة عشر ميلا من جبل كيفوزر الذي منه كفريدريك القائم كان يفترض أنه قد ظهر ، ومرة أخرى بدأت السلطات الاكليروسية في سحق حركة اللطامين في المانيا ، وفي ١٣٧٠ حظر أسقف ورزبرغ اللطم في أسقفيته ، وبعد ذلك بعامين كان البابا يشجع التحقيق في المانيا ، والتعامل القوري بحزم مع أي

لاطم تقع عليه الأيدي ، ولكن الحركة كانت ماتزال موجودة في الخفاء وفي ١٣٩١ - ١٣٩٢ وجدت مجموعات لطم جديدة بين الفلاحين والحرفيين حول هيدلبيرغ واعتقد المحقق الذي قام بالتحقيق هناك ان من الافضل ان يتجه مباشرة إلى مقر قيادة شمد القديم في ثورنجا ، ووجد الطاعون ثائرا هناك واليهود يذبحون ، واكتشف بلا صعوبة مجموعة من اللطامين المهراطيين في ايرفورت ، واحرق قادة المجموعة ، وفرضت الكفارة على الآخرين ، بينما بدساسة هرب الباقون(١٤٥٥) .

وكانت السنوات حوالي ١٤٠٠ غير سعيدة ، وكان زمنا مضطربا لكل النصرانية ، فلقد كان الاتراك العثمانيون يتقدمون في البلقان ، وفي ١٣٩٦ اوقعوا هزيمة ماحقة بالجيش الصليبي الذي ارسله الغرب ضدهم ، واكثر مدعاة للاضطراب حتى من هذا التهديد الخارجي ، كان التفكك الذي نجم عن الصراع العظيم الذي جزا الكنيسة بين البابويين المتنافسين ، اللذان ادعى كل منهما طاعة كل النصرانية ، وشجب الآخر كمهرطق ، وكانت فترة من الارتباك الواسع العميق التي - كما حدث كثيرا - اثبتت انها باعث عظيم للاثارة الأخروية ، وفي ١٣٩٦ رأى القديس الدومينكاني فذست فيرر رؤيا حول اقتراب الايام الأخيرة ، ولاقتناعه بأن المسيح الدجال كان على وشك بدء حكمه بدأ يقود مواكب اللطامين ، وفي اسبانيا ، وجنوب فرنسا وإيطاليا ، وفي ١٣٩٩ كان فلاح إيطالي قد حظي برؤيا أخروية ادت إلى تشكيل حركة للطامين اكتسحت كل إيطاليا ، وحتى في تلك الأراضي الجنوبية حيث بقيت مثل هذه الحركات بشكل عام تحت السيطرة الكهنوتية ، فإنها كانت تتمكن أحيانا من الهروب منها . وعندما هبط موكب كبير من اللطامين من مدن لومبارديا على روما أمر البابا باعتقال قائده وحرقه ، وبخل موكب من بضع مئات من حرفيي لومبارديا بقيادة أحد حواربي فيرر من المدينة نفسها بقصد شن الحرب ضد المسيح الدجال ، ولا بد أن هذا أيضا كان أكثر اقلاقا للإدارة البابوية ، وكانت تجربة خزينة تلك التي ادت بعالم اللاهوت البارز والحصيف ، كارلييري

جيرسون لأن يوجه من مجمع كونسفانانس في ١٤١٧ نداء بالغ الأهمية إلى فيرير للتوقف عن تشجيع الميول الشديدة الخطر على الكنيسة .

ولكن كانت جموع اللطامين المهراطيين ماتزال غفيرة في وحول تورنجيا أكثر من أي مكان . وكان هؤلاء الناس أيضا مقتنعين بأنهم يعيشون في الأيام الأخيرة ، وكانوا بتعبير الأخرويات الشعبية يفسرون حياة وموت كونراد شمد ، لقد تحدث سفر الرؤيا عن « شاهدين » كان عليهما أن يعظا ضد المسيح الدجال ويقتلان على يديه ثم يبعثان بمعجزة ، وقد عرفت الأخرويات الشعبية هذين الشاهدين بأنهما اليجا واينوخ ، وهما شخصيتان في العهد القديم رفعا إلى السماء دون أن يمرا بمرحلة موت الجسد ، ولقد رأى اللطامون أن شمد ومساعدته قريبه الذي مات معه سيوجدان في اليجا واينوخ في الأيام الأخيرة كشاهدين ، في حين سيكون المسيح الدجال بالطبع كنيسة روما ، غير أن المتعصبين كانوا مقتنعين أيضا بأن شمد سيعود مع ذلك مرة أخرى ليهزم المسيح الدجال ويتراس الحساب الأخير ، وبالضبط لأن (ص ١٤٦) عودة اليجا واينوخ قد حدثت في الماضي فإنهم توقعوا الجيء الثاني في كل لحظة ، ولم يكن هناك إلا قليل من الشك في أن شمد سيكون الامبراطور الأخير إضافة إلى ابن الانسان الذي يتوقع ظهوره ، وفي وقت مبكر من القرن الخامس عشر لاحظ مؤرخ من تورنجيا كيف كانت قوة « الهرطقة السرية » حول فريدريك النائم مزدهرة هناك ، وكيف كان الناس البسطاء مقتنعين بشكل مؤكد بأن الامبراطور كان يظهر من وقت لآخر بين الناس ، وكيف كانوا ينتظرون بثقة عودته كإمبراطور للأيام الأخيرة ، وأنه كان من المؤكد أنه ليست مصادفة أنه في المدن المحيطة بجبل كيفوزر استمرت جماعات اللطامين السرية في الوجود وبالنسبة للبقية كانت تلك الجماعات ماتزال مدركة لارتباطها مع أسلافها ، فلقد حافظ أفرادها على طقوس حركة ١٣٤٩ وكانوا مايزالون يدافعون عن ممارساتهم بالاحتكام إلى الرسالة السماوية ، وقد حافظوا أيضا على مذهب شمد بكل نقائه ونقلوه من

الأهل إلى الأطفال بإخلاء حتى أنه بعد قرن لم يتغير إلا قليلاً ، وقد شكروا في الواقع طائفة محكمة التنظيم حيث كان الأطفال حديثي الولادة يعمدون بموجب ضربهم حتى يدمون .

وبشكل تقليدي استهلت الدعاوى ضد المهترطين ونفذت من قبل الكنسية ، وكان تدخل السلطات المدنية محدود في تنفيذ الاحكام المفروضة ، وانه لأمر له اهميته الى المدى الذي يمكن ادراكه ان الامراء المحليين للمناطق كانوا دائماً هم الذين يأخذون المبادرة في ملاحقة اللطامين الثورنجهيين ، وفي اضهاد هؤلاء الناس الذين كانوا في الواقع ثوار اجتماعيين بقدر ما كانوا مهترطين ، ودور التحقيق كان في احسن الاحوال ثانويًا ، وكانت هذه بالفعل هي الحالة عندما اكتشفت في ١٤١٤ - ١٤١٦ طائفة كبيرة من اللطامين في مدينة سانغرهورن وبعد محاكمات حاشدة نظمها المحققون والقضاة المدنيون معاً احرق القائد واثنين من حواريه كمهرطقين غير تائبين سادرين في غيهم ، وارتد الباقيون واطلق سراحهم ، ولكن عندما ترك المحقق المنطقة كان الامراء في الامارات المجاورة يمسكون بكل لطام يمكنهم العثور عليه واحرق نحو من ثمانين او تسعين لطاماً في ١٤١٤ ويبدو ان ثلاثمائة قد اعدموا في يوم واحد في ١٤١٦ ، وبالتالي كان هذا تعبيراً عن الخوف المذهل الذي اوحى به هذه الحركة في « العظيم » ، وحتى هذا اخفق في وضع نهاية للحركة .

بعد جيل في ١٤٤٦ ، اكتشف نحو عشرة من اللطامين في نوردهوزن ، وهي المدينة التي يحتمل ان شمد نفسه قد احرق فيها ، وفي هذه الحالة ايضاً ، حتى اولئك الذين ارتدوا قد احرقوا ، وهذه هي طريقة من العمل يبدو انها كانت متبناة من قبل السلطات المدنية دون تصديق من الكنيسة ، ويحتمل ان لا يكون ذا علاقة ان احد الضحايا كانت مهنته المعروفة هي صناعة النسيج ، وفي ١٤٥٤ جرى تازية احراق حفتين من اللطامين من الرجال والنساء (ص ١٤٧) في سندرهورن : ، و كان في وقت متأخر الى عام

١٤٨٠ ان اخر (الى حد ما هو معروف) اللطامين السريين قد
حوكم واحرق ، وهنا مرة اخرى بتحريض من الامير المحلي .

واذا لم يسمع بعد ذلك عن هذه الطائفة فسانها ما برحت تتمتع
ببعض الاهمية من حيث ان المناطق التي كانت اكثر ازدهارا فيها ،
كانت المناطق التي ستشهد نشاطات توماس مونتزر ، والقرية التي
ولد فيها في ١٤٨٨ او ١٤٤٩ « متنبىء الفلاحين هذا » شهدت
ولادة حرب وقعت على بضعة اميال من نورهوزن ، وكذلك كان
مسرح المذبحة حيث سحق جيشه الفلاحي .